مجلة جامعة ذمار

للدراسات والبحوث الإنسانية

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية

العدد السادس عشر - أكتوبر 2012 م

- شروط القاضي في الفقه الإسلامي نظرات تجديدية
- عودة إلى نقش جبل صبر محاولة لفهم دلالته السياسية والتاريخية
- الالتزام في الشعر الوطني في اليمن دراسة في تلاحم الرؤيتين الوطنية والفنية
- بعض مظاهر إهدار المساواة في حق اللجوء العادي في التقنينات اليمنية دراسة مقارنة

مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالمعرفة الإنسانية

تصدرها

رئاسة جامعة ذمار

رئيس التحرير

أ. د. أحمد محمد الحضراني

رئيس جامعة ذمار

مدير التحرير

أ.د.عادل محيى الدين الألوسي

سكرتير التحرير

د. عبدالقوي العفيري

الهيئة الاستشارية

م.هشام شرف

أ. د.صالح علي باصره

أ. د.عبد العزيز المقالح

أ. د. عبد الوهاب راوح

أ.د. حسين العمري

أ.د. محمد محمد مطهر

هيئة التحرير

د. عبدالكريم العبيدي

د. سالم عقيل

د. خليل الوجيه

د. مارش العديني

د. فؤاد الحمدي

د. عبدالكريم زبيبه

التدقيق اللغوي

د. محمد صالح الرخمي

د. محمد محرم

المتابعة الفنية

د. حسين العنسي

تنسيق وإخراج ضوئي

أ. محمد محمد علي سبيع

المراسلات

رئاسة جامعة ذمار

ص – ب (87246) – ذمار، اليمن

هاتف : 509551 ـ 6 ـ 00967

فاكس : 509553 ـ 6 ـ 00967

مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث

- جميع الحقوق محفوظة .
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها .
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة من غير ذكر المصدر .

مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالمعرفة الإنسانية

العدد (16) - اكتوبر 2012م

فهرس المحتويات

كلمة رئيس التحرير	5	أ. د.أحمد محمد الحضراني رئيس جامعة ذمار
• شروط القاضي في الفقه الإسلامي نظرات تجديدية	7	د. شاكر إسماعيل العبسي
• الريادة في الشعر اليمني المعاصر ضمن تصنيف نقدي	28	د. عبدالسلام الكبسي
• أبرز فرسان العرب قبل الإسلام	61	د.مهدي عريبي حسين علي
• الخطيئة والتكفير بين إبسن وباكثير	106	د . أبوبكر البابكري
• عودة إلى نقش جبل صبر محاولة لفهم دلالته السياسية والتاريخية	125	د. مهيوب غالب كليب
• الالتزام في الشعر الوطني في اليمن	149	د/أحمد قاسم أسحم
• أحكام شهادة المرأة في الفقه الإسلامي	180	د. عبده عبد الله حسين الأهدل
• رمزية القناع ومعايشة التجربة في الشعر العربي المعاصر	212	د.خالد علي الغزالي
• البنية الموضوعية للصورة عند وضاح اليمن	232	د. محمد أحمد العامري
• محمد فريد والحزب الوطني المصري دراسة تاريخية من منظور الوثائق الغربية	261	د. محمود قاسم الشعبي
• تشكيل الصورة الشعرية في شعر محمود درويش	305	د .محمد علي محمد حيدر
• بعض مظاهر إهدار المساواة في حق اللجوء للقضاء العادي في التقنينات اليمنية دراسة مقارنة	331	د. عبدالله صالح علي الكميم
• الصورة الشعرية في وصف الطبيعة عند ابن الأبار البلنسي	360	د. طاهر سيف غالب
• الفروق الدلالية بين أدوات الشرط المتشابهة في الاستعمال	385	أ . عبدالله علي العبسي
• استكشاف بنية المحيط اللغوي لمدينة صنعاء ووظائفه	452	د. أنور علي حميد الأثوري
• عدم إمكانية ترجمة بعض الأعراف الكتابية من الانجليزية إلى العربية	429	د. عبدالسلام محمد غالب الغرافي

- المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .
- ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية .

رمزية القناع ومعايشة التجربة في الشعر العربي المعاصر

د/ خالد علي الغزالي – جامعة صنعاء*

يعد القناع تقنية حديثة في الشعر العربي المعاصر ،فقد لجأ إليها الشعراء ليصوروا معاناتهم والآمهم، إذ وجدوا فيه متنفساً للتعبير عن قضاياهم ورؤاهم المختلفة. وحاول الشعراء استثمار هذه التقنية بالاتكاء على التأريخ ليستمدوا منه بعضاً من عطائه المتمثل بتلك الشخصيات التي قدمت لمجتمعاتها ما يدفع بها صوب الانطلاق والرقي، فضلاً عن نماذج استطاعت الوقوف بوجه الظلم والقهر والتسلط فتماهى معها الشعراء محاولين التحدث على لسانها وكشف همومهم وواقعهم المعيش بغية استشراف المستقبل، مجسدين ما يحملونه من مشاعر مختلفة في صور تلك الشخصيات وأزمنتها. وتشير تقنية القناع إلى سبب اختيار الشاعر لقناعه الذي يحمله لرؤيته وآلامه ويتحدث عن نفسه بوساطته ليحقق الموضوعية، زد على ذلك تحقيق الجانب الفني الذي دفع الشعراء إلى استعماله من أجل النهوض ببنية قصائدهم إلى رحاب البنية الدرامية والابتعاد عن الغنائية فضلاً عن إيصال الدلالات المتعددة التي يسعى إليها الشعراء(١).

هذا وقد تآزرت عوامل عدة أسهمت بشكل فاعل في وجود هذه التقنية، منها العامل السياسي والثقافي والاجتماعي والفني وتركت بصمات تجلّت في توجيه دلالة النص الشعري المعاصر، وخففت من حدة التدفق الآلي لانفعالات الشاعر، وجعلت عملية الالتقاء بين صوت الشاعر والمتلقي بطيئة، لأنه أصبح بينهما وسيط أسمه القناع، إذ منح كل من الشاعر والمتلقي مسحة من التأمل والخيال يبعد كل منهما عن الآخر وعن اللقاء المباشر.

لذا أضحى القناع هو الذات التي تنوب عن الشاعر ووسيلته للتعبير ليس فيما يتعلق بهمومه الخاصة، بل بوصفه صوت الجماعة، أي أن الشاعر الذي خرج عن ذاته فرداً ليتوحد بالكون، وعليه فالقناع عنده رؤيا كونية منزه عن إسقاطات الذات أو طموحات الفرد الخاصة(٢).

كما أتاحت تقنية القناع للشاعر العربي المعاصر الغوص في التاريخ لاستلهام الأحداث الإيجابية من خلال الشخصيات المؤثرة في الماضي، بما يلاءم مواقفه المعاصرة، لأنه

---

* أستاذ الأدب والنقد المشارك. كلية التربية والأداب– خولان.

ليســــــت كـــــل شخصـــــية صـــــالحة للتقنـــــع بهـــــا (لذا فإن عملية الإنتقاء تتطلب من الشاعر دقةً ووعياً)[٣].

والبحث لايروم التعرض لأنواع الأقنعة وأسبابها، وإنما غايته العرض التحليلي لنصوص تتضمن دلالات عدة، استدعاها الشعراء من الماضي وعبروا عن تجاربهم في قصائدهم المبنية على هذا النوع من الرموز، بقدر ما تتطلبه التجربة التي يعيشها الشاعر، فكشفوا الواقع ووقفوا على مواطن الخلل، وحاولوا البوح بما عبّرت عنه هذه الرموز ومنحوها قدرة على تخطي الزمن، وإعطائها نوعاً من المعاصرة.

أمّا خامات القناع فهي كثيرة، منها الشخصيات الدينية والتراثية والصوفية، يختار الشاعر منها الرمز الذي يتعاطف معه أو الذي يقاسمه همومه المشتركة، كما يتطلع هذا البحث إلى كشف الدلالات المختلفة التي تحملها الشخصيات المتخذة أقنعة في شعرنا العربي المعاصر ،ويستكنه هذه الدلالات، فضلاً عن إبراز الجانب الفني الذي تحقق من خلال تقمص هذه الشخصيات بغية معالجة قضايا وأحداث معاصرة، يعايشها الشعراء في واقعهم على المستويات كافة، إذ تحولت هذه الرموز بفعل إبداع الشعراء إلى رموز مضيئة تكشف الواقع وقضاياه المعاصرة.

وتأتي أهمية البحث أنه متصل بقضايا الشعر المعاصر، وأن الموضوع الذي تطرق له يمثل أهمية مردها إلى تحليل النص الشعري المعاصر في ديوان الشعر العربي في موضوع بعينه يؤكد معاصرة النصوص الشعرية العربية،إذ تلقى الدراسة عليه مزيد ضوء وتحليل، من خلال منهج وصفي تحليلي،يعمل على تفكيك بنية النص بغية إعادة تركيبها دلألياً في إطار سياقها الموضوعي ، وسوف يتضح هذا من الاستقراء التحليلي للنماذج المختارة موضوع الدراسة،والتعامل معها، والربط والكشف عن الاسقاطات من خلال الصور والرموز.

الدلالة الرمزية عن القيم الثورية:

تجلّت رمزية القناع في هذا المدار صوب بلورة أهمية القيم الثورية الرافضة للظلم والقهر والاستبداد، والقمع السياسي، والتمرد على الظلم والقهر والاستبداد، والقمع السياسي،ورفض التخلي عن الأرض والمبادئ.

ففي قصيدة الشاعر (أمل دنقل) (من مذكرات المتنبي) يقول:

يومئ، يستنشدني، أنشده عن سيفه الشجاع

وسيفه في غمده.. يأكله الصدأ

وعندما يسقط جفناه الثقيلان، وينكفئ
أسير مثقل الخطى في ردهات القصر
أبصر أهل مصر..
ينتظرونه.. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع!
جارتي من حلب تسألني، متى تعود؟
قلت الجنود يملأون نقط الحدود
ما بيننا وبين سيف الدولة
قالت: قد سئمت مثلك – القيام والقعود
بين يدي أميرها الأبله
لعنت كافوراً
ونمت مقهوراً(٤)

نلحظ في النص أن الشاعر قد أختار الشاعر المتنبي قناعاً له، هذا الإختيار لم يكن جزافاً وإنما اختاره عن وعي قاصد، فحين توحد بالمتنبي وكلاهما شاعر، أفاد من ارتحاله من العراق إلى الشام ومصر إذ تعد شخصية المتنبي من الرموز التاريخية الأدبية ترمز إلى الثورة والرفض والتمرد والإدانة، إن هذا الحوار الذي نجده في النص أشبه ما يكون بتوجيه خفي، أسقطه الشاعر المعاصر على لسان قناعه الذي توارى خلفه،وغرضه في تصوير أزمة قناعه التي هي أزمته هو، بمعنى أن صوت القناع هو صوت الشاعر المعاصر، ولعل استعمال الشاعر للألفاظ (سيفه في غمده، والجنود يملأون نقط الحدود، ونمت مقهوراً) توحي بامتداد قضية المتنبي القناع جاعلاً منها قضية معاصرة تعيشها الأمة اليوم ممثلة بأزمة السلطة العربية وواقع الأمة الواحدة، التي تجزئها الحدود وتمزقها إلى كيانات ضعيفة سهلة المنال، لذا كانت الشخصية المتخذة قناعاً تشير إلى الرفض والثورة على الظلم واسترداد مجد الأمة وقيمها.

ويبدو أن غاية الشاعر من هذا القناع كشف رؤيته إزاء الواقع المعاصر والتعبير عنها لاسيما الجانب السياسي، الذي بلغ حداً لا يجب السكوت عليه وأمنيته في وجود البطل المثالي المخلص الذي يراه قادراً على صياغة الفعل الخلاق وصولاً إلى التغيير، وهكذا كان هذا التوظيف للرمز الأدبي، لكشف أحداث معاصرة يعيشها الشاعر وسعياً لإقامة تماثلاً بين الشخصية الأدبية المستعملة قناعاً والشخصية المعاصرة، وغاية الشاعر من توظيف قناعه، للتعبير عن رؤيته القومية، ووعيه لمعاناة أمته في حاضرها الراهن المرتهن تحت وطأة الضعف والإستسلام والانقسام.

ونقرأ للشاعر بدر شاكر السياب قصيدته، (المسيح بعد الصلب) يقول:

قلبي الشمس إذ تنبض الشمس نوراً
قلبي الأرض، تنبض قمحاً وزهراً وماءً نميرا
قلبي الماء قلبي هو السيل
موته البعث، يحيا بمن يأكل
...
بعد ما أنزلوني سمعت الرياح
في نواحٍ طويلٍ تسف النخيل
والخطى وهي تنأى، إذن فالجراح
والصليب الذي سمروني عليه طوال الأصيل
لم تمتين؟
مت كي يؤكل الخبزُ بأسمي، لكي يزرعوني مع الموسم
كم حياة سأحيا: ففي كل حفرة
صرت مستقبلاً صرت بذرة
صرت جيلاً من الناس، في كل قلبٍ دمي
قطرة منه أو بعض قطره(٥)

بدءً لابد من الإشارة إلى أن شخصية المسيح عليه السلام قد استرعت انتباه كثير من الشعراء العرب المعاصرين ورفدت تجاربهم بكثير من الرؤى الإبداعية والدلالية، وذلك لما لهذه الشخصية من الحضور المتعدد الجوانب، وجاءت تجارب الشعراء المعاصرين مع هذه الشخصية متعددة لخلق الدلالات السياسية والاجتماعية والفكرية، بل والإنسانية المعاصرة.

وفي النص السالف الذكر، نلحظ أن الشاعر المعاصر وعلى لسان الرمز القناع جعل من لحظة عدمية مستقرة في قاع قبره، تطلق صرخة مفزعة في العالم السفلي، لكي يلبث في هذا العالم، الذي يراه مساوياً لعالمه المغادر منه إلاّ أنه يفتقر لدبيب الحياة، لذا فإن ذكر هذه الثنائية المتضادة (الموت والبعث) تؤكد وعي الذات للموت ←حقيقة لبعث الإنسانية المعذبة، لذلك نجد أن (الأنا) ذابت من أجل (نحن).

ومن هنا فإن استدعاء شخصية المسيح عليه السلام من قبل الشاعر المعاصر وتمثل أقواله وأفعاله، ونقلها إلى الحاضر والتماهي بين الشاعر والقناع استطاع تجاوز التأريخ ليصل إلى الحاضر، الذي يعيش الشاعر تجربته فيه بما فيها من أحداث ومواقف، تمثل محطات تاريخية ومواقف إنسانية معاصرة، أراد الشاعر الولوج إلى أعماق ذاته وإسقاط هذه المعاناة عبر الرمز القناع، الذي يشير دلالياً إلى الفداء والتضحية من أجل الآخرين.

إن ما يعمق الإحساس بتضمين القناع (المسيح عليه السلام) لدلالته الرمزية التي يرومها الشاعر لبعث دلالة معاصرة اعتماداً على رمزية التراث، وصوغها بما يلائم تجارب العصر وواقعه المعيش، والهموم الإنسانية، أي أنه كلما ((كانت الرؤيا الاستبطانية أكثر قدرة على إضاءة الماضي تعمق عالم الحاضر)).[٦]

ونقرأ للشاعر خليل حاوي قصيدته (اليعازر) يقول:

في ضباب الحلم
جسم شاحب يطفو على نهر حزين
جبهة يغسلها ظل شعاع
ويوشي في جبال الليل
أطراف الشراع
مسرحي الأرض
متى يمتصها ليل السكون
ويغني صحو مرآتي الرفيعة
...
أنطوى في حفرتي
أفعى عتيقه
تنسج القمصان
من أبخرة الكبريت، من وهج النيوب
لحبيب عاد من حفرته
ميتاً كئيب
لحبيب ينزف الكبريت
مسود اللهيب[٧]

يبدو أن الشاعر كتب قصيدته هذه بعد الصدمة المروعة التي عاشها عند إخفاق الوحدة بين القطرين العربيين، مصر وسوريا، إذ مثل هذا الحدث القومي المؤلم صدمة على أبناء

الأمة لا سيما أولئك الذي يؤمنون بالمد القومي، فكان الموروث ملاذاً للشاعر، فتخذ من شخصية (اليعازر) قناعاً محملاً إياه دلالات معاصرة، أي أن موت هذه الشخصية ثم بعثها لم يحقق حلم الإنبعاث كما هي رؤية الشاعر التي تومئ إلى يأسه وتشاؤمه بعدم تحقق الإنبعاث العربي في واقع التجربة التي يعيشها الشاعر المعاصر، لذا كان قناع الشاعر مجسداً لمأساة الموت وعدم الرغبة بالانبعاث، فهو متشبث بموته هارب من الحياة، وعليه تعإلى صوت القناع، لتطفو من خلاله رؤية الشاعر ومواقفه مع تغيير الظروف والأجواء والأبعاد ذاهباً إلى استحالة العودة إلى الحياة ورامزاً لعمق الواقع والمصير المأساوي، فكانت الدلالة الرمزية التي يريدها الشاعر هي بلورة رؤيته إزاء الواقع والتعبير عن الفجوة السياسية وأثرها السلبي في حياة الأمة.

وفي قصيدة الشاعر عبدالعزيز المقالح (من حوليات يوسف في السجن) يقول:

حينما أبتاعني الحزن من وطني

واشترى وجهي الخوف

كانت بلادي تسافر في القحط

لست الوحيد الذي باعه أهله بدراهم معدودة

ليتهم تركوني هناك في الجب يشربني ماؤها

حصص الحقق

هل تستطيع القيود على شفتي أن تبلغها أنني قد

قبلت الشروط.. من الآن سوف

أراودها أنا عن نفسها

وأشق القميص بأنفاسي الداميات الأظافر

أعرف أن محاسنها ذبلت،

لكنها السنوات العجاف –هنا– علمتني بألا أرد

لراغبة ظهر ودي لأسلخ

من ظلمات الزنازين روحي

ولننشل الجسم من قسوة الاغتيال[٨]

يظهر في النص محاولة الشاعر البوح بما يكمن في نفسه من الحزن والألم الشديدين جراء تجربته التي يعيشها على المستويين المحلي والقومي، فقد كان يعيش الشاعر المحنة الوطنية على مستوى اليمن، إذ تمكنت قوى الرجعية المناهضة لثورة اليمن من حصار مدينة صنعاء.

أمّا على المستوى القومي، فتعد نكسة ١٩٦٧م من التجارب المأساوية التي أثرت في حياة الأمة وغيّرت كثيراً من المعادلات في المنطقة بسبب القوى المتغطرسة والصلف الصهيوني المدعوم من الغرب الذي مكّن العدو الإسرائيلي من قضم مزيداً من الأراضي العربية في محاور عدة، وأمام هكذا حدث فقد إتكئ الشاعر على مخزونه الديني فكانت الدلالات الرمزية التي تحيط بشخصية النبي يوسف عليه السلام وجعله الشاعر معادلاً رمزياً له مستثمراً دلالة التوحد والانقطاع في حياة يوسف عندما القي إلى الجب، ليكشف تجربته هو والتعبير عن أزمته الحاضرة[٩]، فكان قناع الشاعر (يوسف عليه السلام) بما أضفى عليه الشاعر من الدلالات،وكشف ارتباطها بواقع الأمة متجاوزاً تفاصيل حياة هذا النبي الكريم، كما وردت في القصة القرآنية، فالجب يعادل الوطن العربي الكبير، فهو يخرج من غربة المكان ليقع في غربة الروح داخل وطنه،وتعد غربة قاسية يملؤها الإحباط واليأس والقسوة على المستويين الوطني والقومي، لأنه يرى ويسمع من دون أن يستطيع التأثير في مجرى الأحداث.

وربما كانت زوج العزيز هي المعادل لصورة الأنظمة السياسية العربية، ورغبة الشاعر في التعبير عن هذه الصورة، لأن المعروف في القصة القرآنية الموقف الرافض من النبي يوسف، لعرض زوج العزيز حين راودته عن نفسه، في حين نجد الشاعر في نصه الشعري يعلن موقف الرضوخ لهذا العرض كي يتحاشى ظلمات الزنازين وتوقع النتائج المترتبة عن حالة الخروج عنها.

هكذا خرج الشاعر بصوت قناعه إلى صوته الخاص، وتصويره للواقع العربي وتجربته المعيشة، وكانت قدرة الشاعر الفنية في كشف الحاضر الذي تنعكس فيه القيم، وأستطاع الشاعر أن ينطق بها عبر قناعه، فكان الإبداع واضحاً في التعامل مع الواقع، ما يحيط به من التجارب، وما تختزنه ثقافة الشاعر المعاصر من المعرفة، مجسداً أفكاره ومشاعره الخاصة مضفياً على نصه الموضوعية، على الرغم من ((أن القناع لا يخفي المنظور الذي يحدد موقف الشاعر من عصره)).[١٠]

الدلالة الرمزية عن القيم الاجتماعية:

عبر الشعراء في هذا اللون من الدلالة الرمزية عن تجاربهم المعاصرة في واقعهم الاجتماعي، فكشفوا الاختلالات السائدة في بنية المجتمع العربي،وظهرت رؤيتهم جلية عبر الرموز القناعية التي أستطاعت التعامل مع الملتقى بموضوعية بعيداً عن الذاتية، وعليه فقد تمكن الشعراء العرب المعاصرون من رفض الواقع الاجتماعي الذي يسوده الجهل والفقر وتشخيص الداء، ووضع الحلول الناجعة للرقي والازدهار، فضلاً عن تذمر الشعراء من حالة الاستبداد والفوارق الطبقية في تركيبة المجتمع الواحد.

ففي قصيدة الشاعر حميد سعيد،(عيّار من بغداد) والتي استلهم فيها تجربة المحدث، أحمد بن علي المثنى المكنى (أبو يعلى)، وبسط عبره أفكاره. وتعد هذه الشخصية التراثية من العيارين – وهم جماعة من الفقراء يبيتون في المساجد والخرائب، ويضمرون في قلوبهم الحقد على السلطة والأغنياء.

تبدأ هذه القصيدة بذكر أسم الرجل وهويته، وبيان الغاية التي يثور من أجلها، يقول الشاعر:

أسمي أبو يعلى الموصولي
من عياري بغداد
قاتلت رجال الحاكم باسم الله
وهزمت الشرطة في سوق الكرخ ... خرجت
على ظل الله بأرضه
الأرض تبارك وجهي بالفقراء.. زماني
أردية من فضة
أجساد بضة
الإيماء إلى مدن الغلمان
أبادر أن ألقي بالعينين
إلى العلم الساقط في أرض الموت الأفريقي
البرد طعام الأحراش الملقاة على ضفة اليم اليابس
من يفهم كلمات القرش البحري
كنت الإبن الأكبر في عائلتي

لم أحمل سيفاً والأقراش تحيط بداري
لم أتزود والجوع الهندي إزاري
يا أرض الخوف.. تهاوى الخوف
وزلزلت الأرض
اعتكفت في ظل الثورة والريان
أيام الكرخ تمد صدى البرح الدموي على جسر ورم
وبراثا.. صومعة المحزونين
الجوع أبر الفتية... جددت حزامي فالأرض
تدور
لسنا من طين أخر
تعرف أن الوجه الغامض فينا.. مشدود بالأرض
تصارعه أمم وقبائل لكن الوجه طريق.[١١]

هكذا تماهى الشاعر مع قناعه وأصبحت رؤيتهما واحدة، بسبب توحد هذه الرؤية المقاومة للظلم الثائرة على القهر والتسلط المشخص في شريحة الفقراء، بما تومئ إليه من شقاء وبؤس وعمل دؤوب للتخلص من أثار الفقر، ((قاتلت، وهزمت، والغلمان، والموت الأفريقي، والجوع الهندي))، لذا فقد تبلورت وشائج الإلتقاء بين الشاعر المعاصر، وقناعة التراثي المتمثلة في الرفض والتمرد على الواقع القاسي قديماً وحديثاً، ليمثل قاسماً مشتركاً تطفو فيه الفوارق الطبقية والتمييز، وتتماهى الفواصل الزمنية في التاريخ، إذ سيلتقي ما هو قديم في تجربة الشاعر المعاصر، وهذا مايعزز النظرة المستقبلية (جددت حزامي، ولسنا من طين أخر، والوجه طريقي) مما يولد الإيمان واليقين بقدوم الخلاص من هذه المنغصات أو المعوقات (القهر،الظلم،الاستبداد) لأن الهدف قد تحدد منذ البداية، وهو الثورة ومقاومة الاضطهاد، وعليه فقد أستطاع الشاعر المعاصر أن يسقط تجربته الخاصة على لسان قناعه و((مضيفاً عليه من ملامحه ومستعيراً لنفسه من ملامحها، بحيث يصبح الشاعر والشخصية كياناً جديداً ليس هو الشاعر وليس هو الشخصية، وهو –في نفس الوقت– الشاعر والشخصية معا)).[١٢]

ومن هنا يمكن القول: إن قدرة الشاعر المعاصر تكمن في بعث الدلالات المعاصرة من خلال ديمومة رمزية الموروث، وتكيف رموزه بما ينسجم مع القيم الاجتماعية والواقع المعيش، والبعد عن الهم الذاتي إلى رحاب الإنسانية الواسع.

وفي قصيدة الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد (رؤيا نبوخذ نصر) يقول:

إن لم يقم من بني ذريتي
إن لم يقم من بين أولادي
من يستطيع حمل هذا التاج والصولجان
من يستطيع أن يقول للنجوم والأقمار
للغيوم والأمطار
للعصف أياً كان
قف ذلك المكان
يا أيها النذير
يا أيها الصوت الذي يرجف منه الضمير
من أنت؟
من أين تجئ؟
هذا أوان السيل
قم فأنذر
نيف وألف عام
أرقبكم
متى يقوم بينكم من يحمل الراية عني ساعة؟
كي أنام
ثم لكي أبحث عن سيفي المقهور
أبحث عن جسدي المطمور
أبحث عمن يحمل عني غضبي في هذا الديجور.[١٣]

نؤكد مقصدية الرمز القناعي في النص التعبير عن الرؤيا التي يحلم بها الشاعر المعاصر، وهي رؤيا متشعبة الجوانب لكشف واقع الأمة وضرورة الانبعاث من جديد، فكان هذا الخطاب بين الشاعر صاحب الرؤيا والتجربة المرة التي يعيشها، والشخصية المختارة قناعاً، فتجاوز الحقبة الزمنية وخلق جسر الامتداد بينهما لإيجاد الإيحاءات الدالة، لغرض تشخيص الواقع المعاصر واكتشاف الصورة وعلائقها، فقد طفت تكويناتها من خلال (ذريتي، أولادي، ومن يستطيع حمل، والتاج) وقد أزر هذا التشكيل الطابع الدرامي

في بنية النص، بغية استنهاض البعد التاريخي المتواصل مع الحاضر فتجسدت مواقف الشاعر عبر قناعه، كي يتجدد دوره القيادي، ليحقق التقدم والنهوض في عوامل سر تشكلها إلى الأجيال المعاصرة.

لم يقتصر الشاعر عبدالعزيز المقالح في تجسيد أفكاره ورؤاه الثورية على شخصيات دينية وتراثية وحسب، بل جسد ذلك بوساطة أقنعة عدة، إذ أستطاع إضفاء أكثر من دلالة على هذه الاقنعة مع الاحتفاظ بالدلالة الأصلية للقناع المستعمل، وفي هذا ينطلق من نظرة فكرية وفنية، تؤازر غرضه المراد التعبير عنه.

نقرأ للشاعر قصيدته،(من تداعيات الليلة الأخير للمتنبي في مصر):

وفيها أستطاع الشاعر التماهي خلف شخصية الشاعر العربي أبي الطيب المتنبي، ومن خلال هذه الشخصية القناع، بسط الشاعر تجربته الخاصة التي عاشها في أكبر عاصمة عربية (القاهره)،وهي تجربة شبيهة بتجربة المتنبي وخروجه منها بعد أن كتب قصيدته،(عيد بأي حال عدت ياعيد)التي هزت كافور.

ففي المقطع الأول من القصيدة ، يقول:

الشعر شواطئ شاحبةُ ، وشوشةً، مصابيح مطفأة تتسلق

جدران الكون، مرافئ يوقدها سرداب الدم

طيورً بنهود صارخةً في وطن لايملك الحُبَّ

ولا يلد الأمطار ولا يصغي للشمس!

لماذا يمزق في عنق الليل؟

ويبكي دمه تحت رصاص الأوغاد

ويحفر خارطةً للحب وأخرى للموت

لماذا يتدحرج في المدن الكبرى بطناً جائعةً

ويسافر تحت قناع الخوف

امرأة حُبلى بالإثم؟

لقد مر بنا أن شخصية المتنبي لها أبعاد عدة،إذ يرمز إلى الرفض والثورة والإغتراب، والإدانة، فكان تماهي الشاعر المعاصر مع هذه الشخصية وكلاهما شاعر يمثل إمتداد التجربة من الماضي إلى الحاضر، لذا أسقط الشاعر عبر هذا القناع أزمة القناع التي تمثل أزمته هو، مع تشابه الظروف بينهما إجتماعياً وسياسياً وتأريخياً.

وعليه وجدنا الشاعر وعلى لسان قناعه يستقرىء الواقع إستقراءً نابعاً من حركة الذات التي أصطدمت مع حركة الزمن التي رآها غير قادرة على إثبات الذات،لإرتباطات تتعلق بالواقع، مما دفع الشاعر لتقديم حركة ذاته وتجربته الحسية، لذلك جاءت التراكيب(شواطئ، شاحبة،وشوشه، مصابيح مطفأة)التي أسقطها على المدركات من حوله،لتحمل إشارات دلالية يروم ايصالها إلى المتلقي لرسم صورة يستعمل فيها معظم حواسه، إلى جانب صور ودلالات مختلفة ظهرت في بنية النص.

وعليه جاءت هذه الصور والتراكيب في النص تنشر ظلالاً مأساوياً تعمق تجربة الشاعر العربي القديم،القناع، وبين تجربة الشاعر المعاصر، ومحاصرة الواقع له بعلة إمتداده من الماضي، وفيه دلالة تومئ إلى كشف أمور تتعلق بالواقع المعيش، وتبلور مدى الإحباط الذي يواجه الأفكار المستنيرة في المجتمع العربي.

كما أن الشاعر وعبر قناعه لم يكتف بدلالة الظلام وما توحي به من اضطراب وموت وضياع ، بل راح يؤكد بعض الدلالات الأخرى من خلال حركة الأفعال (يبكي، يتدحرج، يسافر) فزادت الدلالة الكلية قوةً وأكسبتها عمقاً وثراءً.

وفي المقطع التالي يبدأ الاعتلاج الحاد بين الذات والواقع، يقول:

أخفيت قصيدتنا في الحلم، ولملمت حروف المطر القادم في ذاكرتي
وصحوت على صوت (الكلب) الخارج من أحذيةٍ
يثقبها (كافور) إذا جن الليل،
ويرسلها باسم السلطان لكي تبحث عن صوتٍ يتلفع بالحزن
ويبحث في وجه الليل عن القمر الغائب عبر مساحاتٍ
باهتةٍ ومعلقة
فوق شظايا الأرض ، على مسمارٍ من كلمات الصحف
الصفراء
.....
في اليوم السابع،

نامت مصر ونام الليل ونام الهرم الأكبر، والصحراء
نامت كل نواطيرها
لكن الشارع يستيقظ، يخلع أكفان النوم يغادر ساحته
يخرج من أعماق الرؤيا
يتوسع
يدخل في الفعل. (١٤)

يُقدّم الشاعر ألفاظ مفردة ومتنوعة تصطف لتقف في خط متصاعد ، ينسج صورة معتمدة الوجدان الشخصي، وأخرى معتمدة الوجدان الجمعي ، والجمع بين الخاص والعام من قبل الشاعر رفد بنية النص بما ينسجم مع تجربته وانفعالاته.

وجاء الانتقال من صورة إلى أخرى يؤشر حلول الشاعر في عالم يسكنه الرعب والخوف، وامتداد الوجدان على هذه اللحظات اوجد ارتباطاً وثيقاً ينتظم ما أسميته الخاص والعام، إذ كوّن طاقة رفض عام (لصوت الكلب) وفي هذا دلالة تشير إلى عدم الاستقرار المكاني و الزماني.

أمّا مضمون الرموز الدالة في النص، تتجه صوب توجيه الوخز اللاذع للساسة، وكشف أساليبهم أملاً في إيقاظ الجمع المستكين، وإبراز الهزات النفسية التي تسكن
الشاعر،وحضور رمزية (كافور) إشارة إلى نقطة الالتقاء بين الشاعر وقناعه، وتملي تشابه الظروف بينهما.

وهكذا قدّم قناع الشاعر بشخصية الشاعر المتنبي ملمحاً أصيلاً من حياته، كان هذه الملمح من تجربة الماضي ملمحاً من تجربة الشاعر المعاصر، بمعنى أنه استطاع بوساطة قناعه التعبير عن جوانب حياته المعاصرة وبأسلوب غير مباشر سعياً لكشف ((مقاصد اللاشعور الجمعي، ويخلق من هذا اللاشعور مجتمعاً أكثر توافقاً مع متطلبات العصر)). (١٥)

أي أن الشاعر المعاصر وجد في شخصية المتنبي القناع ((تأكيداً لصوته من جهة، وتأكيداً لوحدة التجربة الإنسانية من جهة أخرى، فضلاً عن ابراز رؤية الشاعر وتطلعه في الذات المعاصرة، وتحرك الواقع المضاد)). (١٦)

بعد استدعاء هذه الشخصية والبوح بوساطتها عن ضغط أصابع الزمن على خناق الشاعر المعاصر، وفعل الضغط لابد من أن يزيح النظر عما يفرّج عن الذات التي تعاني البؤس والإنكسار، فكان هذا الاستدعاء قصدياً واعياً بأهميته في معادلة القناع، إذ استطاع

استبطان مشاعر هذه الشخصية في أعمق حالات وجودها التأريخي، معبراً عن الواقع الاجتماعي والاستلاب الثقافي التي تعاني منه الأمة.

الدلالة الرمزية عن القيم الفكرية والنفسية:

وفي هذا اللون من الدلالات عبر الشعراء عن إحباطات عدة تصطدم مع الذات العربية وتطلعاتها، وكانت ذات أثار سلبية، بل أدت إلى فورة الوجدان التي أفضت إلى مشاعر الاغتراب، الروحية والنفسية، وبحسب وقعها على الذات فانطلقت من روح محاصرة والشعور بوجود هوة بين الذات والمجتمع، فاستحال الإندماج بينهما مما ولّد غربة روحية ونفسية وهم في أوساط مجتمعاتهم، فكانت قصائدهم هي المتنفس الذي يعبرون من خلالها.

ففي قصيدة الشاعر عبد الوهاب البياتي، (تحولات محي الدين بن عربي) يقول:

كلمني السيد والعاشق والمملوك
والبرق والسحابة
والقطب والمريد
وصاحب الجلالة
أهدى إلي بعد أن كاشفني غزالة
لكنني أطلقتها تعدو وراء النور
في مدائن الأعماق
فاصطادها الأغراب،
وهي في مراعي الوطن المفقود
فسلخوها قبل أن تذبح أو تموت[١٧].

رسم الشاعر صورة للموقف والواقع، موقف يتجه صوب الانطلاق والتنوير، وواقع يكبله، فهو مشهد متكرر قديم جديد في واقع الإنسان العربي المعاصر وخصوصاً لأصحاب الرؤى والأفكار الذين لم يكن أمامهم إلا خيارين الضعف أمام الإغراءات التي تعرض لهم أو مواجهة الكبت والقهر والاستبداد، وإزاء هكذا واقع فقد عمد الشاعر إلى تعرية المواقف التي يمر بها في تجربته التي يعيشها في الواقع العربي المعاصر، فهو بن عربي العصر، الذي عرف بآرائه، وما تعرض له آنذاك جراء ذلك، لذا حاول الشاعر وبوساطة الرمز الذي تقنع به تحديد المعوقات التي تكبل المستنيرين والمفكرين اليوم، وتحول بينهم وبين رؤاهم الطامحة إلى رقي المجتمع والنهوض به إلى مصاف الأمم الناهضة. لذا عمل

الشاعر على تحليل واقع أخر غير واقعه الذي يعيشه ويلحظ معاناته سعياً لإيجاد الموازنة الدالة على واقعه المعاصر، في محاولة منه لكشف الواقع وتعريته.

ونقرأ للشاعر أمل دنقل قصيدته (زرقاء اليمامة) يقول:

أيتها العرافة المقدسة
ماذا تفيد الكلمات البائسة؟
قلت لهم ما قلت من قوافل الغبار..
فأتهموا عينيك يا زرقاء بالبوار!
قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار
فاستضحكوا من وهمك الثرثار
وحين فوجئوا بحد السيف، قايضوا بنا
والتمسوا النجاة والفرار!
ونحن جرحى القلب
جرحى الروح والفم
لم يبق إلا الموت
والحطام
والدمار
ها أنت يا زرقاء وحيدة عمياء
وما تزال أغنيات الحب.. والأضواء
والعربات الفارهات.. والأزياء
فأين أخفي وجهي المشوها
عن أعين الرجال والنساء[١٨]

طبقاً لمجريات النص فإن الشاعر يحقق عبر قناعه الإنفصال عن البنية الاجتماعية، بسبب وعيه ونظرته المستقبلية، فكان التضاد مع كل ما لا يتفق مع رؤيته الطامحة إلاّ أن تجربته الذاتية أصطدمت مع الواقع المؤلم، فكان الانكفاء على الذات والشعور بالغربة النفسية وهو يعيش في مجتمعه، لذا فإن ما يقدمه من نصح وتوجيه بمثابة حوارية ذاتية تغرق في محاولة يائسة، على الرغم من إنبجاسها من ذات تعيش تجربة مرة، وتحاول السير نحو الترفع عن الواقع المادي في مظاهره كافة، وما نجم عنه من الإحباط والنكوص الشديدين كرد فعل معاكس، مما دفع الشاعر إلى الموازنة مع تجارب من الزمن الماضي، سعياً للدفع باتجاه الإشراق، والاستفادة من التداعيات الماضية، لخلق حاضر عربي قادر

على الوقوف بوجه التدمير الحضاري الذي يحيكه أعداء الأمة بغية مصادرة الهوية العربية، من خلال تولّد تضاد هو وليدها وإقامة معادلة مقلوبة (فاستضحكوا من وهمك) مقابل (نحن جرحى القلب) محولاً حاضرنا إلى (موت/ حطام/ دمار)، مؤدياً إلى تناقض منسجم مع مقلوب المعادلة (أغنيات/ عربات/ أزياء).

وكان إستعمال الشاعر لشخصية زرقاء اليمامة معادلاً تراثياً، للتعبير عن تجربته تجربة اليأس والإحباط التي أهانت المفكر العربي الذي يعاني من الغربة وهو في مجتمعه، مما جعله منطوياً على ذاته بسبب وعيه المسبق بخطر الأحداث المحدقة بأمته والتحذير منها والدعوة إلى الاستعداد لها، ولكن لا حياة لمن تنادي.

وفي قصيدة (أبو البقاء الرندي) للشاعر المغربي عبدالكريم الطبال، يقول:

ما أخجلني، تلقاني في (الرندة) مهزوز القدمين
لا أحمل فوق الرأس العمامة
لا أحضن في الوجه اللحية
لا أحفظ ود بني الأحمر
لا أكنز في صدري مرجان وياقوت القرآن
عاقاً للأباء وللأبناء – وللأحفاد
أهرب منك.. فتلقاني في كل رصيف
التجئ إلى دار كانت محراباً للصلوات الخمس
ينكرني فيها الناقوس، ويطردني الباب
أهرب عبر البحر، فألقاك تشق عباب البحر
أهرب، أهرب، حتى أسقط بين يديك
القاسيتين الحانيتين
أقتلني إن شئت ولا تسألني عن أسرة طارق[١٩]

واضحٌ أن النص يضعنا أمام إعادة كتابة التاريخ العربي لا سيما فيما يتعلق بأواخر أيام العرب بالأندلس سعياً لمزج ذلك التاريخ بواقع العصر الذي يعيشه الشاعر العربي المعاصر، وكان اختيار شخصية الشاعر الأندلسي (أبو البقاء الرندي) وإسقاط معاناة الشاعر العربي الحديث بوساطته كي يضفي مقولات فكرية، تعد عوناً للشاعر المعاصر في قراءة الواقع العربي ماضياً وحاضراً، واستشرافا للمستقبل.

ونقرأ للشاعر خليل الخوري قصيدته (الحفر في الصخر)، يستثمر الدلالة الرمزية التي أرتبطت بشخصية النبي أيوب عليه السلام، وهي صفة الصبر، يقول:

آه سيدتي لا أطيق البكاء، ولم يبق في كبدي
بعد متسع لأسى..
لم يعد في قواميسي المنتقاة شتائم للمارقين..
لم يعد غير ضوءٍ يعاود أيوب
حين يجانبه صبره
إن بعض الذي يجعل الموت أغنيةً، عذبة أمل
أن بعد الغروب يجيء الشروق وأن الذين
غادرونا إلى الشمس في كل عام إذا ما همسنا بأسمائهم يرجعون[٢٠].

يومئ النص إلى توحد الشاعر بقناعة (أيوب عليه السلام) وأن كل منهما أي أيوب النبي عليه السلام (القناع) ، وأيوب العصر (الشاعر) قد يصل إلى مرحلة نفاذ الصبر، بسبب أن النبي عليه السلام (القناع)، قد حمل أمرين عظيمين هما:

- **الأمر الأول:** متعلق بذاته لفقده المال والجاه والولد.

- **الأمر الثاني:**هو تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى إلى قومه، وما ترتب على ذلكم من أثار في حياته، أمّا الشاعر المعاصر، فإن له همومه الخاصة به فضلاً عن شعوره بضرورة التغيير في واقعه، لذا لزم عليه تحمل هذه الرسالة الوطنية الثورية وتبصير الأمة وحشد الطاقات لبناء مستقبلها والتحذير من كيد الخونة الذين ينخرون في جسد أمتهم، لعل ذلك قد يثمر تغيير الحال إلى ضده، الشدة إلى الرخاء تعلقاً بالأمل المشروع في تحول (الغروب – الشروق) لفتح أفاق جديدة أمام أبناء الأمة في واقعها المعاصر.

وبعد.. من كل ما تقدم نخلص إلى النتائج الآتية:

- تعد قصيدة القناع تطوراً صوب الأداء الدرامي في القصيدة العربية المعاصرة، إذ أستطاع الشعراء أن يقولوا كل شيء من دون اعتماد شخصيتهم مباشرة، كما يفعل كتاب المسرحية، الذين يتوارون خلف الشخصيات ويقولون ما يريد أن يقوله الكاتب.

- تبين من خلال تحليل النماذج الشعرية أن السمة الجوهرية في تجربة الشعراء المعاصرين في تعاملهم مع الرموز التراثية، تكمن في كيفية توظيفها واستثمار دلالاتها في بنية القصيدة مع تفاوت واضح بين الشعراء، من حيث القدرة على سبر أغوار الموروث، بمعنى أنه كلما كانت رؤية الشاعر المعاصر استبطانية تعد أكثر قدرة على إضاءة الماضي بعمق عالم الواقع المعاصر من خلال التجربة التي يعيشها الشاعر المعاصر، فقد تمكن من التجوال في أبعاد عدة، منها التاريخي والنفسي، والأيديولوجي في تاريخ الإنسان عموماً.

استطاع الشاعر المعاصر وعبر الرموز التي أستثمر دلالاتها، وأتخذها قناعاً التعبير لما يواجه النخبة المستنيرة من أبناء الأمة في تجربتها مع المجتمع العربي المعاصر، من أحداث عاصفة، ونفس جياشة مما دفع بالشعراء إلى شحن هذه الرموز بشحنات تجعلها ذات صلة بتموجات العصر، أملاً في إثراء حداثة النص الشعري، وحداثة الرؤى، التي يكافح الشعراء من أجلها، زد على ذلك توضيح صلة الشاعر بتراثه وموقف الشاعر المعاصر من هذا التراث.

والله من وراء القصد،،،

المصادر والهوامش

١- ينظر أطياف النص، دراسات في النقد الإسلامي المعاصر، د. محمد سالم سعد الله، عالم الكتب الحديث، عمان، ٢٠٠٧م، ٩٢.

٢-دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، محمد مبارك، منشورات وزارة الإعلام بغداد، ١٩٧٦م، ٦.

٣-دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د. محسن أطيمش وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م، ١٤.

٤-الأعمال الكاملة، أمل دنقل، دار العودة بيروت ط١، ١٩٨٥م: ٢٣٨.

٥-أنشودة المطر، بدر شاكر السياب، بغداد: ١٤٥.

٦-الشعر إلى أين، مجموعة من الباحثين، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠: ٧٤.

٧-خليل حاوي، رينا عوض، المؤسسة العربية للنشر ط٢: ٦٦.

٨-ديوان عبدالعزيز المقالح، دار العودة بيروت ط١، ١٩٧٢: ٥٤٧، ٥٤٨.

٩-الرمز الديني في الشعر العراقي المعاصر، د. رعد رحمه السيفي، بغداد، ٢٠٠٠: ٣٨.

١٠- قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، معين بسيسو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٩٩: ٢١٨.

١١- ديوان ما لم تقله الغيوم، محمد حسين الجعوشي، دار الهمداني، عدن، ط١" ٦٧.

١٢- القناع في الشعر العربي الحديث: ٩.

١٣- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة ط١، ١٩٩٧م: ١٩٣.

١٤- ديوان المقالح :٦٠

١٥- تطور الصورة الفنية في شعر اليمن الحديث، د. عبدالمطلب جبر بغداد ١٩٩٧م: ٢١٤.

١٦- ديوان حميد سعيد، مطبعة الأديب البغدادية، ط١، ١٩٨٤م: ١٥٠، ١٥٢.

١٧- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ٢٦٢.

١٨- الأعمال الكاملة، عبدالرزاق عبدالواحد، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الجزء الثالث ط١، ١٩٨٦م: ٧٣.
١٩- ديوان المقالح: ٣٣.
٢٠- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د. محمد فتوح، منشورات اتحاد الأدباء العربي، دمشق، ١٩٩٢: ٣٩٣.
٢١- لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، د. السعيد الورقي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٧م: ١٥٣.
٢٢- ديوان قصائد حب على بوابات العالم السابع، عبدالوهاب البياتي، دار الشروق، القاهرة ط٣، ١٩٨٥م: ١١.
٢٣- الأعمال الكاملة، أمل دنقل: ٢٥.
٢٤- ديوان الأشياء المنكسرة، عبدالكريم الطبال، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٤: ١٣٢.
٢٥- أغاني النار، خليل الخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٧م: ١٧٥.